

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
يوجه خطابا إلى الأمة بمناسبة عيد الشباب

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني خطابا للأمة بمناسبة عيد الشباب والذي صادف الذكرى الثالثة والستين لميلاد جلالته . وكان جلالته محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد وصاحب السمو الأمير مولاي هشام .

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي السامي :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز؛

إن كنا نحتفل في السنين الماضية بعيد الشباب فإن احتفالنا هذه السنة سوف يكون مطبوعا بطابع جديد؛ ذلك أنه زيادة على تكريم الشباب وبعث روح الشباب وعنفوان الشباب، سننكب في غضون الأسابيع المقبلة على تشبيب أطر الأمة . وأريد هنا أن يفهم من لفظ الأمة ما يسمى بالفرنسية «ناسيون» أو الإنجليزية «نايشن»؛ فهناك دول ليست دول وهناك أمم ليست أمم .

فلنفتخر إذن بأننا من الدول العريقة المجيدة المعروفة الأصيلة . فهناك كما قلت لك ــ شعبي العزيز ــ من الأمم ــ كيفما كان تاريخها وكانت أصالتها وقوتها ــ هناك من الأمم إن لم تكن كلها، من يحتاج من حين لآخر إلى التشبيب وإلى التقوية . والمغرب من تلك الأمم؛ وقد دل تاريخه العظيم المجيد على أنه كان دائما يجد مناهل الشباب ليجد أمامه وليخلق أمامه منطلقات التاريخ .

إذن، قلت نحن على أبواب أسابيع مهمة جدا إن لم أقل أساسية بالنسبة لمستقبل بلدنا . ذلك أنك كما تعلم ــ شعبي العزيز ــ سوف تدعى في هذه الفترة المقبلة من الزمن إلى استفتاء على دستور وانتخابات محلية ومهنية وانتخابات عامة . أما الدستور فليس من العادة كما تعلم ــ شعبي العزيز ــ أن نطرحه قبل أوانه أو أن نعلن عنه تفصيلا قبل أوانه .

وعليك ــ شعبي العزيز ــ أنت ومن يؤطرك من الأحزاب سواء كانت في الحكومة أو لم تكن أن تعلم أننا أخذنا بعين الاعتبار بعد أن طلبنا نحن تلقائيا من الأحزاب السياسية أن تعطينا وجهات نظرها وأن تغنينا باقتراحاتها فيما يخص تعديل الدستور. فهناك من الأحزاب من أجابنا كتابة وهناك من أجابنا خطابا، ولم تكن استشاراتنا محصورة على حزب دون حزب أو هيأة دون هيأة، علما منا بأن الاستفتاء هو فوق جميع الاعتبارات الحزبية لايرمي إلا إلى الأخذ بعين الاعتبار ميزان القيم وميزان الممارسة وميزان الواقعية وميزان معرفة المزاج الوطني والشعبي . فهو لايأخذ بعين الاعتبار انتماء فلان إلى حزب أو فلان إلى هيأة، بل يطلب من الشعب أن يقول نعم أو لا، جملة وتفصيلا .

ونظرا ــ شعبي العزيز ــ لما تعلمه في شخصيا تربية وجبلة من احترام لك ومن صدق في القول والعمل وما تكنه من احترام لخديم هذه الأمة، لم نقم بتعديل دستوري عبثا أو بهلوانية بل وضعنا دستورا سوف ترى ــ شعبي العزيز ــ أنه سيرضيك بل سيجعلك تفتخر به لأن المغرب يعد من الدول

التي هي في طريق النمو، ولكن فصلنا لأنفسنا لبوسا لا يلبسه إلا المتقدم من الدول وأوجدت هذا اللبوس لاديماغوجية ولا طلبا للشعبية ولا سعيا وراء المدح والإطراء، بل جعلت هذا اللبوس في هذا الشكل إيمانا مني بأنك فكريا وجسديا تستحق هذا اللبوس صاحب الأناقة هذا اللبوس صاحب التكريم والاحترام.

وحينما يأتي الوقت ـ وما ذلك الوقت ببعيد ـ سنطرح عليك هذا الدستور ـ شعبي العزيز ـ وسوف ترى أنك ستصبح به عزيزا مرموقا بين الدول والشعوب، ثم بعدما نكون قد صنعنا الآلة وأوجدنا الوسائل لممارسة شؤون المسؤولية سندعوك إلى انتخابات محلية ومهنية لتكون ثلث البرلمان. أقول الثلث لأنه اقترح علي فيما اقترح أن يكون البرلمان كله منبثقا عن الانتخاب الوطني. إلا أنني أعتقد أننا إذا لم نضع في البرلمان نفسه ممثلين عن اللامركزية، تلك اللامركزية التي أصبحت أساسا من أسس حكم هذه البلاد وأصبحت مضرب الأمثال، فإن نحن لم نضعها في البرلمان الذي يصوت على القانون الذي هو أسمى تعبير لإرادة الدولة والذي يجب على الجميع أن يحترمه إن لم يشرك أولئك المنتخبون المحليون والممثلون الحقيقيون للامركزية مباشرة مع الآخرين في قاعة واحدة على قدم المساواة في مستوى المسؤوليات المحلية والجهوية والوطنية؛ سوف نكون قد ألحقنا ضررا بتلك اللامركزية أو كأننا بعدما نزعنا منها رأس الرمح لغزو مستقبلنا تراجعنا عن اختياراتنا ووضعناها موضعا لم يراع ما كان لها من تقدير ومكانة.

إذن أقول ستدعى من بعد ـ شعبي العزيز ـ للتصويت على المنتخبين على المستوى الوطني.

وهنا أريد ـ شعبي العزيز ـ أن أقول لك ما يلي :

قبل شهرين، كنت قد أهبت بك ودعوتك في خطاب في موضوع اللامركزية للمشاركة الفعلية في النقاش والحوار الوطني، وقلت انطلاقا من معرفتي بالدستور وفحواه وفلسفته ومنطوقه عليك ـ شعبي العزيز ـ وشبابي العزيز ـ أن تخوض المعركة السياسية لا السياسة السياسية ولا الاحتراف السياسي، بل السياسة التي جاءت من فعل ساس يسوس بمعنى سير بحكمة ولطف، ودفعا بالتي هي أحسن. لقد دعوتك لخوض غمار السياسة. ونظرا لكون الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية هي التي تؤطر بمقتضى الدستور المواطنين سياسيا، كنت دعوتك للانخراط في الأحزاب السياسية دون تفضيل حزب على حزب ودون تفضيل ـ كما يقال كلاسيكيا ـ ليسار على يمين أو يمين على يسار ـ لأني لم أعد أرى أين هو اليمين وأين هو اليسار ـ فالسياسة اليمينية المطلقة كانت دائما جبروتا والسياسة اليسارية المطلقة كانت دائما عطبا وتفويتا؛ وها هي الظروف التي عشناها ونعيشها تعطي أكبر دليل على ذلك. فأنا أومن قبل كل شيء بما جاء في الكتاب المنزل على النبي ﷺ حيث قال الله سبحانه وتعالى «وكذلك جعلناكم أمة وسطا».

فالسياسة اليمينية لايمكنها أن تقف على رجلها إلا على جثث عدد من الناس لأن أهل اليمين عادة يحتقرون طائفة من الطوائف. والسياسة اليسارية لايمكنها أن تعطي إلا نتائج الإفلاس بعد سياسة السجن والنفي. فلا هذه ولا تلك إذن صالحة لنا.

فأنا لا أدعوك ـ شعبي العزيز ـ للانضمام إلى هذا الحزب اليميني أو ذاك اليساري لأنه لم يعد هناك لايمين ولا يسار بالنسبة لي وفي العالم بأسره. ولكن كيفما كان الحال «اعقلها وتوكل» واستفت قلبك واذهب عند من تريد وعند من تختار.

المهم أنني أريد أن أرى صنفا لم أره قط في برلماناتنا الماضية . فنحن لم نكن نرى في برلماناتنا الماضية ولا حتى في البرلمان الحالي إلا بعض المحامين وبعض الأساتذة الجامعيين الذين ـ واقول هذا بكل احترام لهم لأنني أنا نفسي تتلمذت عليهم ــ لايعلمون من شؤون الحياة إلا ما هو مكتوب في الكتب التي يدرسونها أو يقومون بتدريسها . فلم أر أبدا لا مستثمرين مهمين ولا أصحاب أبناك نجحت ولا أرباب أموال روجت ولا أصحاب معامل ومصانع رفعت وشيدت أولئك الذين يمكنهم بتجربتهم أن يعطوا الدليل اللازم إما للسرعة أو للتوقف أو للتفكير في مجال من المجالات وبالأخص في مجالي الاقتصاد والتشغيل .

أهيب بهؤلاء الناس وأهيب كذلك بالأطر الشابة التي تشغل مناصب مهمة في مجتمعنا أن يأتوا كذلك لهذا البرلمان لا ليحترفوا السياسة ، بل ليسوسوا الأمور كما يجب وعلى أحسن ما يرام وسيكونون في آن واحد ذلك العنصر الذي ذكرته في أول خطابي ألا وهو عنصر التشبيب لهذه الأمة وعنصر الابتكار والمجيء بأفكار من صميم الواقع وجدت حجتها ورسمت سبيلها ومعالمها بنجاحها في الميدان .

أنتظر منك ـ شعبي العزيز ـ كذلك شيئا آخر. فأنا أريد أن تكون الحملة الانتخابية حماسية وأن تكون كما يقولون ــ ولكن فكريا وخطابيا وابتكارا ـ ذات عضلات حتى يعلم الجميع ممن يعيش حولنا إما جهويا أو في القارة أننا لا نتخذ الانتخابات وسيلة للتهريج والسب والنيل من كرامة الناس، بل نتخذها وسيلة لنعرب عن عزمنا وعزيمتنا وعن إيماننا باختياراتنا تاركين آنذاك الشعب يقول كلمته الأخيرة .

واعلم ـ شبابي العزيز ـ ممن يؤهلون أنفسهم ــ وأرجو الله أن يكونوا كثيرين ــ أنك ستكون أمام حكم لايعرف لا المحاباة ولا التغاضي . فالشعب المغربي شعب ذكي وله حساسية خاصة ليحكم على فلان ويميز بين من يخاطبه حقا وبين من يخاطبه نفاقا .

فأملي إذن ـ شعبي العزيز وشبابي العزيز ـ أن يكون تاسع يوليوز فاتحة انطلاق جديد ستترتب عليه انطلاقات وانطلاقات ، وسنبني على أسسه حقبا غير قصيرة من الزمان ترينا أولا أننا ورثة الأولياء لأن آباءنا وأجدادنا كانوا أولياء ، لأنهم آمنوا بتقدم المغرب رغم أنه لم يكن لديهم لا طاقة ولا وسائل نقل ولا وسائل اتصال سلكي ولاسلكي ، ولكن عندما كان الرقاص يسير من إشبيلية حتى تمبكتو أو من الدار البيضاء حتى القاهرة لم يكن آنذاك المرسل مومنا أن رسالته ستصل وحتى إذا وصلت لم يكن متيقنا أنه سيمكن أن يستمتع بجوابها أو أن يحكم على هذا الجواب . ومع ذلك آمنوا بهذا البلد . وليكن عملنا في هذه الأسابيع المقبلة دلالة على إيماننا ببلدنا إيمانا لايقل عن تكريمنا لشعبنا وعن احترامنا لرأي الجماعة .

فمن ألطاف الله على هذا البلد ، أنه إذا كان دينا يعمل بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ وبرأي الجماعة فإنه دنيويا وسياسيا يعمل بما تقره الجماعة «وما اجتمعت أمتي على ضلال» .

هذه كلمتي ـ شعبي العزيز ـ ربما شعرت في نبرات صوتي أو قرأت على ملامحي قليلا من البشاشة وسمعت من كلماتي قليلا من تلك الملاطفة التي هي طعم حوارنا فعلا لأن العتبة تاريخية والمهم هو الروح والنية التي سنقدم بها على هذه الأسابيع . فإذا كانت نيتنا غير صافية ، فالله حسيبنا وأرجو أن يكون محاسبنا في أقرب وقت ممكن ، وإذا كانت نيتنا صالحة وحينها أقول نيتنا أعني الجميع ولا أقصد نفسي فقط ، أرجو الله أن يكافئنا حينا واستقبالا .



وعلى هـذا الدعـاء أكرر لك ــ شعبي العزيـز ـ عـواطف لا أقول محبتي ولكن عـواطف وثنيتي واستماتتي في خدمتك وفي حبك . والله سبحـانه وتعالى يجعلنا نلتقي سنين وسنين في أمثـال هذه الأيام لنحـاسب النفس على ما مضى ويكـون الحساب إيجابيـا ، ولنوطـد العزم على مـا سيأتي ليكون مـا يأتي ايجابيا .

والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

7 محـرم 1413هـ مـوافق 8 يوليوز 1992م